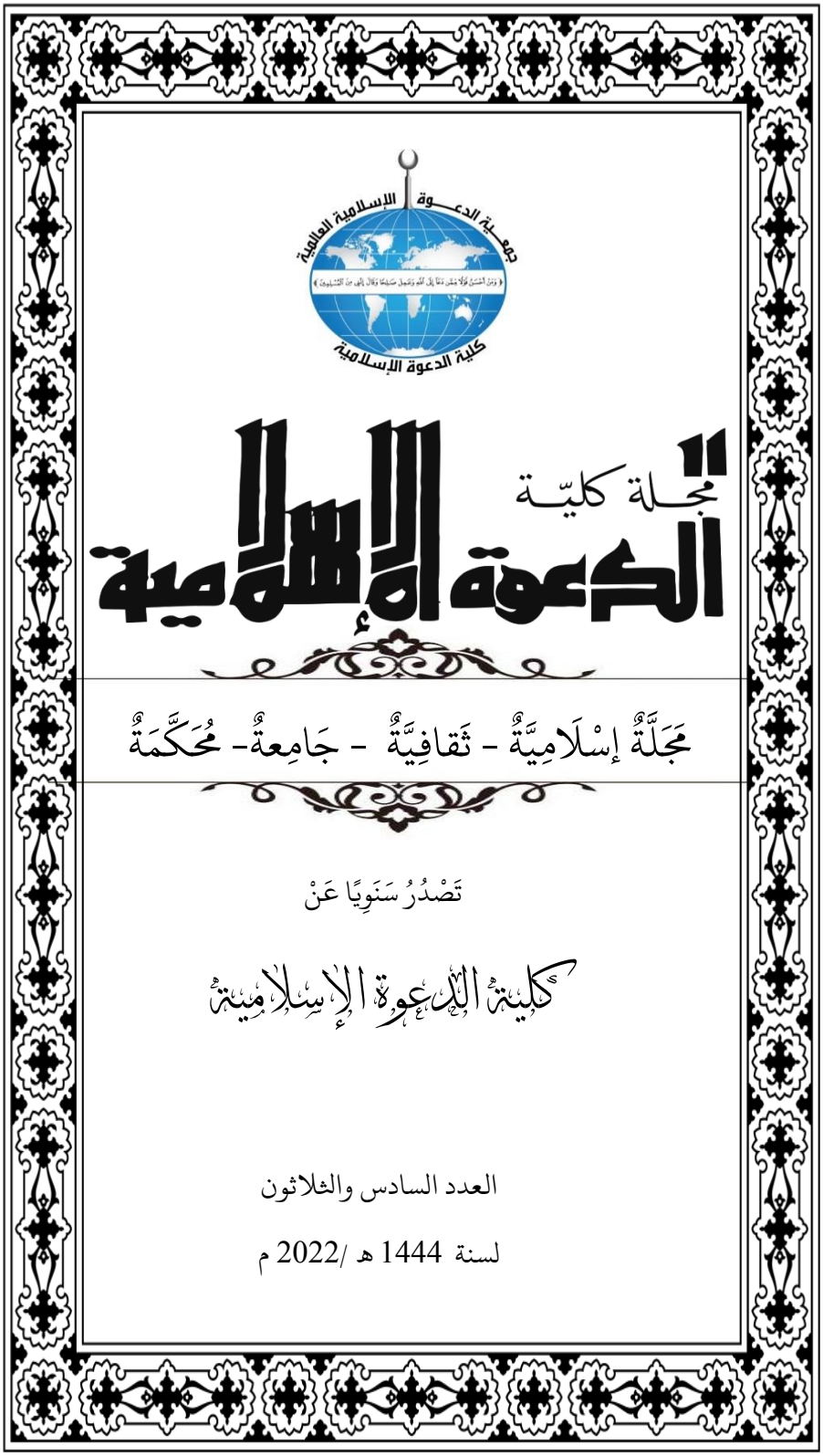

مجلة كليّة الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ - جَامِعةٌ- مُحَكَّمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًا عَنْ

كُلِيَّةُ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةُ

العدد السادس والثلاثون

لسنة 1444 هـ /2022 م

تنوع لفظ الدّعاء في القرآن الكريم ومقاصده

أ. طارق محمد علي الزائدي
طالب دراسات عليا بجامعة طرابلس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بحمده تتمّ الصّالحات، وتُرفع الدّرجات، أحمده على آلائه ونعمه، وأعوذ به من عذابه وغضبه، وأشهد أنّ لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، بعثه بالحقّ بشيراً ونذيراً، فبشّر ويسّر، وحذّر وأنذر، حتّى تركنا على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلّا هالك، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه واقتفى أثره إلى يوم الدّين.

أما بعد، فالقرآن الكريم دستور الإسلام الخالد، ومعجزته الباقية، والمورد الذي نرد عليه فلا نستغني عنه أبداً، وإنّ من أحقّ ما ينبغي لنا أن نستثمر فيه الأوقات، وأجلّ ما يشتغل به الباحثون، هو مدارسة كتاب الله -ﷻ-، ومداومة البحث فيه، والغوص في أعماقه؛ للكشف عن حقائقه، وإظهار إعجازه، وتجلية محاسنه، والذّود عن ساحته، ودحض الشّبهات والأباطيل عنه. وقد كانت خصائص القرآن الكريم، وما زالت مثار الإعجاب ومصدره، من عصر النّزول إلى أن يرث

الله الأرض ومن عليها. ولا شكّ في أنّ العكوف على هذه الكنوز فيما يخصّ موضوعاً قرآنيّاً ما، سيعين على ظهور كثيرٍ ممّا خفي من أسرار القرآن الكريم، وهي كثيرة لا يستطيع الإنسان حصرها.

وبتوجيهٍ من الدّكتور: عبد الله محمّد النّقراط، الذي وجّهني ومجموعةً من الطّلاب لدراسة المصطلحات القرآنية، وبيان مقاصدها وتصريفاتها؛ لنفي التّكرار عنها، جعلت موضوع بحثي تحت عنوان:

تنوّع لفظ الدّعاء في القرآن الكريم ومقاصده

فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكان الصّحابة -ﷺ- يفهمونه، وكانوا يعلمون معانيه، وتراكيبه، وأسباب النزول، ويميزون الناسخ من المنسوخ. ثم نُقل ذلك عن الصّحابة، وتداول ذلك التّابعون مِن بعدهم، ولم يزل ذلك متناقَلاً بين الصّدر الأوّل من السّلف حتّى صارت المعارف علوماً، وأُلِّفت الكتب، ونُقِلت الآثار فيه عن الصحابة والتابعين، حتى انتهى إلى المفسّرين، كمقاتل، والطّبري، وابن أبي حاتم، والزّجاج، وغيرهم الكثير.

وكما نعلم فإن المفسّرين تباينت أهدافهم من تفسير القرآن الكريم، فبعضهم كان يغلب على تفسيره ذكر الأسرار البلاغيّة ووجوه الإعجاز القرآني، وبعضهم كان يولي عناية خاصّة بمسائل العقيدة وقضايا علم الكلام، وبعضهم كان يهتم باستنباط الأحكام الفقهيّة، ولعلّ في مقدمة ذلك من اهتم بتفسير الألفاظ ومعانيها، وكان اهتمامهم متجهاً إلى الكلمة الواحدة، وبيان مدلولاتها ومعانيها، وهو ما يسمى بعلم الوجوه والنظائر، "فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ ... والنظائر كالألفاظ المتواطئة، وقيل: النظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني"[1].

وهو ما يُعرف -أيضاً- بظاهرة المشترك اللفظي في القرآن الكريم، وهذه الظاهرة من الظواهر اللُّغوية التي تشيع في كثير من ألفاظ اللُّغة، ويسميها الدكتور:

(1)البرهان في علوم القرآن - لبدر الدين الزركشي (102/1).

عبد الله النقراط بالتصريف[1]. فالتنوع هو مدلول التصريف، وهو راجع إلى التفسير الموضوعي، وهو لون من ألوانه الأربعة[2]: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني -الذي هو محل البحث-، والتفسير الموضوعي للموضوع القرآني، والتفسير الموضوعي للسورة القرآنية، والتفسير الموضوعي للمصطلح والموضوع معاً. وقد جاءت على هذا النمط مجموعة من ألفاظ القرآن الكريم، من ذلك لفظ: **(الدّعاء)**، الذي هو موضوع البحث، فـــإنّ لفظ الدّعاء في القــرآن الكريم يــأتي على سبعة وجوه، وهي: العبادة، والقول، والنّداء، والاستغاثة أو الاستعانة، والاستفهام، والسّؤال، والعذاب[3]. وسيأتي بيان كل وجه في مكانه إن شاء الله تعالى.

(1) يُنظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم - للدّكتور عبد الله النقراط (9/1). والتصريف لغةً: الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجْع الشيء، وردِّه من حالة إلى حالة، يقال: صرفتُ القومَ صرفاً فانصرفوا، إذا رجعتهم فرجعوا، وقال -ﷻ-: ﴿**ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ**﴾ [سورة آل عمران، من الآية (152)]، والتصريف كالصرف إلا في التكثير، وتصريف الرياح: هو صرفها من حالة إلى حالة، والصَّريف: اللبن ساعةَ يُحلبُ ويُنصَرفُ به. والصّرف في القرآن: التوبة؛ لأنه يرجع به عن رتبة المذنبين، يقال: لا يقبل منه صرف ولا عدل، ومنه قوله -ﷻ-: ﴿**فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗا**﴾ [سورة الفرقان، من الآية (19)]. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهري (4 /1358) ومعجم مقاييس اللغة - لابن فارس (3 /342) والمفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني (ص: 482) (مادة: صرف).

أما التصريف اصطلاحاً فقد قال أبو الحسن الرماني: "التصريف: تصريف المعنى في المعاني المختلفة، كتصريفه في الدلالات المختلفة ... فتصريف المعنى في المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة، وهو عقدها به على جهة المعاقبة، كتصريف الملك في معاني الصفات، فصُرِّف في معنى مالك، وملك، ذي ملكوت، والمليك، وفي معنى التمليك والتمالك، والإملاك، والتملك، والمملوك". النكت في إعجاز القرآن (ص: 101).

(2) ينظر: المفيد في أصول التّفسير - للدكتور عبد الله التقراط (ص: 114، 115).

(3) ينظر: الوجوه والنّظائر لألفاظ كتاب الله العزيز - للدّامغاني (ص: 213).

وفيما يتصل بمادّة « دعا » واستعمالها القرآني، فقد استوعب القرآن الكريم تصاريف اللّفظ ودلالاته، حيث جاء على نحو مائة وتسعين مرّة، ضمن اثنين وسبعين اشتقاقاً، تنوّعت معانيها بتنوّع سياقها التي وردت فيه[1].

وممّا شجّعني على الكتابة في هذا الموضوع -بالإضافة للدّكتور: عبد الله النّقراط- الرّغبةُ في البحث في كتاب الله العزيز، والنّهل من ينابيعه التي لا تنضب، والوقوف عند أسراره، والتأمل فيها والإفادة منها؛ امتثالاً لقوله -ﷻ-: ﴿**انظُر كَيفَ نُصَرِّفُ الآيَٰتِ**﴾[2].

ويهدف هذا البحث إلى بيان معنى لفظ التّنوّع، والتّصريف، وبيان أنه راجعٌ إلى التّفسير الموضوعي، وأنّ الكلمة الواحدة تتصرّف في القرآن إلى معانٍ مختلفة، وأنّ هذا التّنوّع يدلّ على الاستعمالات الدّلاليّة للكلمة الواحدة في القرآن الكريم، وهذا التّنوّع هو الّذي جعل القرآن الكريم معجزاً في ألفاظه ومعانيه. كما يهدف إلى بيان الوجوه التي يتنوع -أو يتصرّف- لها لفظ الدّعاء، وذلك من ناحية لغويةٍ، وأخرى اصطلاحية -إن وجدت-، ومن ثمّ التدليل عليه بآياتٍ مصحوبة بأقوال المفسرين.

ولـمّا كان المنهج البحثيّ بمثابة الموجِّه والمنبِّه للباحث في رصف ملامح الطريق السديد للبحث وتحديده، كان لزاماً على الباحث أن يختار منهجاً محدداً يناسب بحثه؛ بغية الوصول إلى نتائج مرضية. لذلك اخترت المنهج النقلي، والوصفي التحليلي، والاستقرائي الناقص.

أما المنهجان؛ النقلي والاستقرائي، فقد استخدمتهما في نقل الأقوال وحصر الآيات والأحاديث موضوع البحث، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي في مناقشة تلك الأقوال والآيات والأحاديث وتحليلها.

(1) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - لمحمّد فؤاد عبد الباقي (ص: 257 وما بعدها) (مادّة: دعا).

(2) سورة الأنعام، من الآية (46).

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعةٍ من المصادر والمراجع، منها: جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري، والجامع لأحكام القرآن - للقرطبي، ومعالم التّنزيل في تفسير القرآن - للبغوي، ومن المعاجم: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهري، ومعجم مقاييس اللغة - لابن فارس، ولسان العرب - لابن منظور، وغيرها.

وخرّجت الآيات القرآنيّة على رواية حفص عن عاصم، وخرّجت الأحاديث من مظانّها، وعزوت الأقوال إلى مصادرها.

وقسّمت هذا البحث إلى مقدّمةٍ، وأربعةِ مطالب، وخاتمةٍ، وفهرسٍ لمصادر البحث ومراجعه.

أمّا **المقدّمة** فذكرت فيها أهمّيّة الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والمنهج المتّبَع، وبعض المصادر والمراجع الّتي اعتمدت عليها، وهيكليّة البحث الّتي نحن بصددها.

وأمّا **المطالب** فهي كالآتي:

المطلب الأول - الدّعاء لغة واصطلاحاً، وفيه فرعان:

الفرع الأوّل - الدّعاء لغةً.

الفرع الثّاني - الدّعاء اصطلاحاً.

المطلب الثّاني - الدّعاء بمعنى العبادة والقول، وفيه فرعان:

الفرع الأوّل - الدعاء بمعنى العبادة.

الفرع الثّاني - الدّعاء بمعنى القول.

المطلب الثّالث - الدّعاء بمعنى النّداء والاستغاثة أو الاستعانة، وفيه فرعان:

الفرع الأوّل - الدّعاء بمعنى النّداء.

الفرع الثّاني - الدّعاء بمعنى الاستغاثة أو الاستعانة.

المطلب الرّابع - الدّعاء بمعنى الاستفهام والسّؤال والعذاب، وفيه فرعان:

الفرع الأوّل - الدّعاء بمعنى الاستفهام والسّؤال.

الفرع الثّاني - الدّعاء بمعنى العذاب.

وأمّا **الخاتمة** فذكرت فيها أهمّ النّتائج والتّوصيات.

وقد حاولت المواءمة في الحجم بين مطالب الموضوع وفروعه، لكن طبيعة البحث حالت دون ذلك، فجاءت بعض المطالب والفروع أكبر حجماً من بعض.

والله وليّ التّوفيق

المطلب الأوّل - الدّعاء لغةً واصطلاحاً

- **الفرع الأوّل - الدّعاء لغةً:**

الدّال والعين والحرف المعتلّ أصل واحد، وهو أن تُميلَ الشَّيءَ إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دَعَوْتُ أَدْعُو دُعَاءً. والدَّعوةُ إلى الطعام بالفتح، والدِّعوةُ في النسب بالكسر. هذا أكثر كلام العرب إلّا عَدِي الرِّبَابِ[1]، فإنّهم ينصبون الدّال في النّسب ويكسرونها في الطّعام. قال الخليل: "الادِّعَاءُ أن تَدَّعِيَ حَقّاً لك أو لغيرك. تقول ادَّعَى حقّاً، أو بَاطلاً"[2]. قال امرؤ القيس[3]:

فَلَا وَأَبِيكِ ابْنَةَ العَامِرِيِّ لَا يَدّعِي القَوْمُ أَنِّي أَفِرْ

والدّعاء بمعنى النّداء يتعدّى لواحد، وبمعنى التّسمية يتعدى لاثنين، الأول بنفسه، والثاني بحرف الجر. فمن الأول كقولك: دعوت محمّداً، أي: ناديته، ومن

(1) **الرِّبَابُ**: وهي حيٌّ من أحياء طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وسمّيت بالرّباب؛ لأنّهم تحالفوا فقالوا: اجتمعوا كاجتماع الرّبابة، وهم خمس قبائل تجمّعوا فصاروا يداً واحدةً: ضبّة، وثور، وعُكل، وتيم، وعَدي. أمّا بلادهم فكانت مجاورةً لبني تميم بالدّهناء، ثمّ تفرّقوا بعد ذلك، وقد اشتركوا في حروب العراق تحت إمرة سعد بن أبي وقّاص -رضي الله عنه- سنة (14 هـ)، وحاربوا مع عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- سنة (36 هـ). ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة - لعمر كحّالة (2 /415).

(2) معجم العين - للخليل الفراهيدي (2 /221) (مادّة: دعو).

(3) في ديوانه، (ص: 105)، وهو من البحر المتقارب.

الثاني: دعوته بأبي عمرو، أي: سمّيته أبا عمر، وقد يُتوسّع في ذلك فيُحذف حرف الجرّ، فتقول: دعوته أبا عمرو.

وداعيةُ اللّبن: ما يترك في الضّرع ليدعو ما بعده، وهذا تمثيل وتشبيه. وفي الحديث قوله -ﷺ- للحالب: «**دَعْ دَاعِيَ اللَّبَنِ**»[1].

وتداعت الحيطان، وذلك إذا سقط واحد، وآخر بعده، فكأنّ الأول دعا الثاني. وربما قالوا: داعيناها عليهم، إذا هدمناها واحداً بعد آخر.

والدَّعِيُّ أيضاً: وهو الّذي يدّعي غيرَ أبيه، ويُطلق على المتبنّى. قال -ﷻ-: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ**﴾ [2]. وادَّعيتُ على فلانٍ كذا. والاسم الدَعْوى. والادِّعاءُ في الحرب: الاعتزاء، وهو أن يقول: أنا فلان بن فلان.

ودعوتُ فلاناً، أي: صِحْتُ به واسْتَدْعَيْتُهُ، ودَعَوْتُ الله له وعليه دُعاءً. والدُعاءُ: وَاحِدُ الأَدْعِيَةِ، وأصلُه دُعَاو؛ لأنه مِن دعوتُ، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف هُمزت[3].

وقال صاحب اللّسان: "معنى الدّعاء لله -ﷻ- على ثلاثة أوجه: فَضَرْبٌ منها توحيدُه والثّناءُ عليه، كقولك: يا الله لا إلٰه إلا أنت، وكقولك: ربنا لك الحمد، إذا قلتَه فقد دعوتَه بقولك ربنا، ثم أتيتَ بالثناء والتوحيد، ومثلُهُ قولُه -ﷻ-: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[4]، فهذا ضرب من الدعاء.

---

(1) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب: معرفة الصّحابة -رضي الله عنهم-، باب: ذِكْرِ مناقب ضِرَار بن الأَزْوَرِ الأَسَدِيّ -رضي الله عنه-، برقم (5041) (3 /264) وقال: "صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَا يُحْفَظُ لِضِرَارٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- غَيْرُ هَذَا". ووافقه الذّهبي في التّلخيص.

(2) سورة الأحزاب، من الآية (4).

(3) ينظر: الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة - للجوهري (6 /2337) ومعجم مقاييس اللّغة - لابن فارس (2 /279، 280) (مادّة: دعا) والكلّيّات - لأبي البقاء الكفوي (ص: 446).

(4) سورة غافر، من الآية (60).

والضَّرْبُ الثّاني: مسألةُ الله العفو والرحمة وما يُقرّب منه، كقولك: اللّهُمَّ اغفر لنا. والضَّرْبُ الثّالث: مسألةُ الحظِّ من الدنيا، كقولك: اللّهُمَّ ارزقني مالاً وولداً، وإنّما سمّي هذا جميعه دعاءً؛ لأنّ الإنسان يُصدّر في هذه الأشياء بقوله: يا الله، يا رب، يا رحمن، فلذلك سمّي دعاءً"[1].

- **الفرع الثّاني - الدّعاء اصطلاحاً:**

يصعب على الباحث أن يضع تعريفاً جامعاً للدعاء، إلاّ أنّه يمكننا أن نلتمس مفهوماً يُشرف بنا على حدود الدعاء.

ومن هذا السبيل عُرِّف الدُّعاءُ بأنّه: "الرّغبةُ إلى اللهِ -ﷻ- فيما عنده مِن الخيْرِ، والابْتِهالُ إليه بالسّؤال، ومنه قوْلُه -ﷻ-: ﴿**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفيَةً**﴾"[2].

وعرّفه بعضهم بأنّه: "شعور القلب بالحاجة إلى عناية الله -ﷻ- فيما يطلب، وصِدْقُ التّوجه إليه فيما يرغب"[3]. فحقيقة الدعاء إذاً هي الشعور الباطني في الإنسان بالصلة والارتباط بعالم لا مبدأ له ولا نهاية، ولا حدَّ ولا غاية؛ لسعة رحمته -ﷻ- وقدرته، وإحاطته بجميع ما سواه، فوق ما نعقل من معنى السّعة والإحاطة[4].

وأعظم ما يُدعى الله به، ويُتوسَّل إليه به هي أسماؤه الحسنى، قال -ﷻ-: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَآءُ الحُسنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[5]، فمن آداب الدّعاء أن يدعوَ الداعي ربَّه -ﷻ- بأسمائه الحسنى قبل طلبه وسؤاله، فإنّ المؤمنَ لا يتمّ إيمانه بالأسماء الحسنى حتى يجتهد في دعاء الله -ﷻ- بها في كلّ حالاته، في سرّائه وضرّائه، وفي سفره

(1) لسان العرب - لابن منظور (14 /257) (مادّة: دعا).

(2) سورة الأعراف، من الآية (55). وتاج العروس من جواهر القاموس - للزَّبِيدي (19 /405) (مادّة: دعو).

(3) تفسير المنار - لابن منلا (2 /13).

(4) ينظر: الدّعاء المعاني والصّيغ والأنواع - لمحمّد زوين (ص: 14).

(5) سورة الأعراف، من الآية (180).

وإقامته، وفي عباداته ومعاملاته، وفي شأنه كله، وليس في ذلك غلوّ ولا مبالغة؛ لأنّ الداعي إلى الدعاء أصلاً هو الافتقار والحاجة، وافتقار الإنسان يغمره فطرةً وطبعاً. فيتوسل إلى الله -ﷻ-، ويتضرع إليه دائمًا بأسمائه الحسنى، ويقدّم بين يدي دعائه ما يناسب ذلك الدعاء من الأسماء؛ فذلك أدعى لقَبوله واستجابته[1].

كما يُستحب للدّاعي أن يقول في آخر دعائه كما قال أهل الجنة: ﴿**وَءَاخِرُ دَعوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ**﴾[2]، وحَسُنَ أن يقرأ آخر سورة الصّافّات، فإنّها جمعت تنزيه الباري -ﷻ-، والتّسليم على المرسلين، والختم بالحمد لله رب العالمين[3].

المطلب الثّاني – الدّعاء بمعنى العبادة والقول

- **الفرع الأوّل – الدّعاء بمعنى العبادة:**

أوّلاً – العبادة لغةً:

الْعَيْنُ وَالْبَاءُ وَالدَّالُ أصلان صحيحان، كأنهما متضادان، والأول مِن ذَيْنِكَ الأصلين يدل على لينٍ وذُلٍّ، والآخر على شدّةٍ وغلظٍ.

فالأول: العبْدُ، وهو الإنسان، حُرّاً كان أو رقيقاً، يُذْهَبُ بذلك إلى أنّه مَرْبُوبٌ لِبَارِيهِ -ﷻ-. والجماعة العبيد، وثلاثة أَعْبُدٍ، وهُم العِبَادُ. قال الخليل: "إنّ العامة اجتمعوا على تفرقة ما بين عباد الله والعبيد المملوكين. يقال هذا عبْدٌ بيِّنُ العبودة. ولم نسمعهم يشتقون منه فعلاً، ولو اشتُقَّ لقيل: عَبُدَ، أي: صار عبداً وأَقرَّ بالعبودة، ولكنه أُميت الفعل فلم يستعمل . . . وأما عَبَدَ يَعْبُدُ عبادةً فلا يقال إلا لمن يعبد الله -ﷻ-"[4]. يقال منه: عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً، وتَعَبَّدَ يَتَعَبَّدُ تَعَبُّداً. فالمتعبِّدُ: المتفرِّدُ بالعبادة. واستعبدتُ فلاناً: اتخذتهُ عبداً.

والأصلُ الآخَرُ: الْعَبَدَةُ، وهي القوّة والصّلابة; يُقال: هذا ثَوْبٌ له عَبَدَةٌ، إذا كان

(1) ينظر: الدّعاء في القرآن - لمحمّد حجازي (ص: 11، 13).

(2) سورة يونس، من الآية (10).

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (8 /314).

(4) معجم العين - للفراهيدي (2 /48) (مادّة: عبد).

صَفِيقاً قَوِيّاً. ومِن هذا القياس: الْعَبَدُ، مِثْلُ الْأَنَفِ وَالْحَمِيَّةِ. يُقال: هو يَعْبَدُ لهذا الأمرِ. وفُسِّر قولُهُ -ﷻ-: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَٰبِدِينَ﴾[1]، أَيْ أوّلُ مَن غضِب عن هذا وَأَنِفَ من قولِه[2].

ثانياً - العبادة اصطلاحاً:

العُبُودِيَّةُ: إظهار التّذلّل، والعِبَادَةُ أبلغُ منها؛ لأنها غاية التّذلّل، والمحبة، والخضوع، والخوف. ولا يستحقّها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله -ﷻ-، الّذي يقول في كتابه آمراً نبيَّه محمّداً -ﷺ-: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَٰهِلُونَ﴾[3].

ثالثاً - الآيات الّتي تنوّع لفظ الدّعاء فيها بمعنى العبادة:

وهذا أوّل معاني الدعاء وأوسعها استعمالاً في القرآن الكريم، فقد جاء الدعاء بمعنى العبادة كثيراً في الاستعمال القرآني، قال -ﷻ-: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾[4]. قال البغويّ -رحمه الله-: "قل: أندعو من دون الله ما لا ينفعنا إن عبدناه، ولا يضرنا إن تركناه؟ يعني: الأصنام ليس إليها نفع ولا ضر"[5]. وبنحوه قال ابن الجوزيّ والبيضاويّ[6] -رحمهما الله-.

وقال ابن عطية -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: "المعنى: قل في احتجاجك: أنطيع رأيكم في أن ندعو من دون الله؟ والدّعاء يعم العبادة وغيرها؛ لأن من جعل شيئا

(1) سورة الزخرف، الآية (81).

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه - للزجاج (4 /420) ومعجم مقاييس اللغة - لابن فارس (4 /205-207) ولسان العرب - لابن منظور (3 /270) (مادّة: عبد).

(3) سورة الزمر، الآية (64). وينظر: المفردات في غريب القرآن - للأصفهاني (مادّة: عبد) (ص: 542) والتعريفات الفقهية - للبركتي (حرف العين) (ص: 142).

(4)سورة الأنعام، من الآية (71).

(5) معالم التّنزيل في تفسير القرآن - للبغوي (2 /134).

(6) ينظر: زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي (2 /43) وأنوار التنزيل وأسرار التأويل - للبيضاويّ (2 /168).

موضع دعائه، فإياه يعبد، وعليه يتّكل"[1]. وقال الشّوكانيّ -رحمه الله-: "أمره الله -سبحانه وتعالى- بأن يقول لهم هذه المقالة، والاستفهام للتوبيخ، أي: كيف ندعو من دون الله أصناما لا تنفعنا بوجه من وجوه النفع إن أردنا منها نفعاً، ولا نخشى ضرّها بوجه من الوجوه؟ ومن كان هكذا فلا يستحق العبادة"[2].

وممّا جاء بهذا المعنى أيضاً قولُه -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلْ مَا يَعبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[3]. قال مقاتل -رحمه الله-: "﴿قُلْ مَا يَعبَؤُاْ بِكُمْ﴾ يقول: ما يفعل بكم ﴿رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ يقول: لولا عبادتكم ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم-. يَعِدُ كفارَ مكة: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾، يلزمكم العذاب ببدر، فقتلوا وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجّل الله -سبحانه وتعالى- بأرواحهم إلى النّار فيعرضون عليها طرفي النهار"[4].

وقال الماورديّ -رحمه الله- في تفسيره "النّكت والعيون": "﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ فيه وجهان، أحدهما: لولا عبادتكم وإيمانكم به, والدعاء العبادة. الثاني: لولا دعاؤه لكم إلى الطاعة, قاله مجاهد. ويحتمل ثالثاً: لولا دعاؤكم له إذا مسكم الضر وأصابكم السوء؛ رغبة إليه وخضوعاً إليه"[5]. وبنحوه قال البغويّ وابن الجوزي[6] -رحمهما الله-.

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لابن عطيّة (2 /306).
(2)فتح القدير - للشوكاني (2 /148).
(3) سورة الفرقان، من الآية (77).
(4) تفسير مقاتل بن سليمان (3 /243).
(5) النكت والعيون - للماوردي (4 /162).
(6)ينظر: معالم التّنزيل في تفسير القرآن - للبغوي (3 /460) وزاد المسير في علم التّفسير - لابن الجوزي (3 /333).

وكذلك قولُه -ﷻ-: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[1]، قال الطّبريّ -رحمه الله-: "يقول تعالى ذكره: ولا تعبد يا محمد مع معبودك -الّذي له عبادة كل شيء- معبوداً آخر سواه"[2].

وقال القرطبيّ -رحمه الله-: "﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي: لا تعبد معه غيرَه، فإنه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ نفيٌ لكلّ معبود، وإثباتٌ لعبادته"[3]. وقال ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا تليق العبادة إلّا له، ولا تنبغي الإلهيّة إلا لعظمته"[4].

- **الفرع الثّاني – الدّعاء بمعنى القول:**

أوّلاً – القول لغةً:

القافُ والواوُ واللّامُ أَصْلٌ واحدٌ صحيحٌ يَقِلُّ كَلِمُهُ، وهو الْقَوْلُ مِنَ النُّطْقِ. يُقَالُ: قَالَ يَقُولُ قَوْلًا وقوْلةً ومقالاً ومقالةً. وَالْمِقْوَلُ: اللِّسَانُ. وَرَجُلٌ قُوَلَةٌ وَقَوَّالٌ: كَثِيرُ الْقَوْلِ. ويقال: كَثُرَ القيلُ والقالُ. والجمع أقْوالٌ وأقْيالٌ أيضاً.

وقيل: سُمِّيَ الْمَلِكُ قَيْلًا؛ لأنّه إذا قال قولاً نَفَذَ قولُه، فقد رُوي عن النّبيِّ -ﷺ- أَنَّه كتب لِوَائِلِ بْنِ حُجْر ولقومه: ((**مِنْ محمدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلى الأَقْوالِ العَباهِلة**))[5]،

(1) سورة القصص، من الآية (88).

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطّبريّ (19 /643).

(3) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبيّ (13 /322).

(4) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (6 /261).

(5) النهاية في غريب الحديث والأثر - لابن الأثير (4 /122) . والعباهلة: "هُمْ الَّذِينَ أُقِرُّوا عَلَى مُلْكِهم لَا يُزَالُون عَنْهُ. وكُلُّ شَيْءٍ تُرِك لَا يُمْنع مِمَّا يُريد وَلَا يُضْرَب عَلَى يدَيه فَقَدَ عَبْهَلْتَهُ. وعَبْهَلْتَ الإبلَ: إِذَا تركْتَها تَرِدُ متَى شاءَت". المصدر نفسه (3 /174) (مادّة: عبهل).

وفي رواية: ((**إلى الأَقْيال العَباهِلة**))[1]. قال ابن الأثير في تفسير الحديث: الأَقْوال جَمْعُ قَيْل، وهو المِلك النَّافِذُ القولِ والأمرِ، وقال الأَعشى فجعلهم أَقْوالًا:

ثُمَّ دانَتْ بَعْدُ الرِّبابُ وَكَانَتْ كعَذابٍ عقوبةُ الأَقْوالِ[2]

ثانياً - الآيات الّتي تنوّع لفظ الدّعاء فيها بمعنى القول:

ومـمّا جـاء فـي القـرآن الكـريـم بـمعـنى القـول قولُــه -ﷻ- ﴿**فَمَا كَانَ دَعوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ**﴾[3]. قال مقاتل بن سليمان في مَعْرض تفسيره لهذه الآية: "يَقُولُ -ﷻ-: فَمَـا كـان قولهم عِنْـد نزول العذاب بهم ﴿**إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ**﴾؛ لقولهم في حم: ﴿**ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحدَهُۥ**﴾"[4].

وقال ابنُ الجوزي -رحمه الله-: "قوله -ﷻ-: ﴿**فَمَا كَانَ دَعوَىٰهُمۡ**﴾، قال اللغويون: الدّعوى ها هنا بمعنى الدعاء والقول. والمعنى: ما كان قولهم وتداعيهم إذ جاءهم العذاب إلا الاعتراف بالظلم"[5]. وذكر ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: "وقوله -ﷻ-: ﴿**فَمَا كَانَ دَعوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ**﴾ أي: فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم، وأنهم حقيقون بهذا"[6].

---

(1) رواه البيهقي في كتابه شعب الإيمان، في حبّ النّبيّ -ﷺ-، فصل في خَلْق رسول الله -ﷺ- وخُلُقه، برقم (1364) (3 /34). وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (9 /376): "فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حُجْرٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ".

(2) في ديوانه (ص: 13)، وهو من البحر الخفيف. وينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهري (5 /1806) ومعجم مقاييس اللغة - لابن فارس (5 /42) والنهاية في غريب الحديث والأثر - لابن الأثير (122/4) ولسان العرب - لابن منظور (11 /576) (مادّة: قول).

(3) سورة الأعراف، الآية (5).

(4) يشير إلى الآية (84) من سورة غافر، وهي قوله -ﷻ-: ﴿**فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ**﴾. تفسير مقاتل بن سليمان (2 /29).

(5) زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي (2 /102).

(6) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (3 /388).

وهذا جليٌّ أنّه من تفسير القرآن بالقرآن، فقد ناسب قولَه -ﷻ-: ﴿**دَعوَىٰهُم**﴾ بـقوله: ﴿**قَالُوٓاْ**﴾، فبيّن أن معنى الدعوى هٰهنا القول[1].

وكذلك أيضـــاً قولُـــه -ﷻ-: ﴿**فَمَا زَالَت تِّلكَ دَعوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ**﴾[2]. قال يحي بن سلام -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: "يعني: فما زال ذلك قولُهم"[3]. وبنحوه قال الثّعلبيّ[4] -رحمه الله-.

وقال ابن الجوزي -رحمه الله-: "﴿**فَمَا زَالَت تِّلكَ دَعوَىٰهُمۡ**﴾ أي: ما زالت تلك الكلمة التي هي: ﴿**يَٰوَيلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ**﴾[5] قولَهُم يردِّدونها، ﴿**حَتَّىٰ جَعَلنَٰهُمۡ حَصِيدًا**﴾ بالعذاب، وقيل: بالسيوف، ﴿**خَٰمِدِينَ**﴾ أي: ميّتين، كخمود النار إذا طفئت"[6]. وبنحوه قال القرطبيّ والشّوكانيّ[7] -رحمهما الله-.

وقال المراغيّ -رحمه الله- في مَعْرض تفسيره لهذه الآية: "أي فما زالوا يرددون هذه المقالة، ويجعلونها هِجِّيرَاهُمْ[8] حتى حُصدوا حصداً، وخمدت حركاتُهم، وهدأت أصواتُهم . . . وخلاصة هذا: أنهم صاروا يكررون الاعتراف بظلمهم أنفسَهم،

(1) ينظر: الدّعاء المعاني والصّيغ والأنواع - لمحمّد زوين (ص: 18).

(2)سورة الأنبياء، الآية (15).

(3) تفسير يحي بن سلام (1 /302) .

(4) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن - للثّعلبيّ (6 /271).

(5)يشير إلى الآية الّتي قبلها، الآية رقم (14)، وهي قوله -ﷻ-: ﴿**قَالُواْ يَٰوَيلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ**﴾.

(6) زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي (3 /186).

(7) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (11 /275) وفتح القدير - للشوكاني (3 /473).

(8) والـمعنى: دأبـهم وعادتـهم. قال الجوهري: "والهِجِّيرُ، مثال الفِسِّيقِ: الدأب والعادةُ. وكذلك الهِجِّيري والإهْجيري. يقال: ما زال ذاك هِجِّيراهُ، وإهْجيراهُ، وإجْرِيَّـاهُ، أي: عادته ودأبه". الصحاح تـاج اللغة وصحاح العربية (2 /852) (مادّة: هجر).

ولكن لم ينفعهم ذلك كما قال: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[1] حتّى لم يبق لهم حسٌّ ولا حركة، وأُبيدوا كما يُباد الحصيد، وخمدوا كما تُخمد النار"[2].

ومنه أيضاً قولـه -ﷻ-: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ اللَّهُمَّ﴾[3]، قـال الطبريّ -رحمه الله- : "إذا مرّ بهم الطير يشتهونه، قالوا: سبحانك اللّهُمَّ، وذلك دعواهم، فيأتيهم الملَك بما اشتهوا، فيسلم عليهم، فيردون عليه، فذلك قوله -ﷻ-: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربَّهم، فذلك قوله -ﷻ-: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ﴾"[4].

وأخرج ابن أبي حاتم -رحمه الله- في تفسيره بسنده عن مقاتل بن حيان -رحمه الله- أنّه قال: "إن أهل الجنة إذا دُعُوا بالطّعام قالوا: سبحانك اللّهمّ، قال: فيقوم على أحدهم عشرة آلاف خادم، مع كل خادم صَحْفَةٌ من ذهب، فيها طعام ليس في الأخرى، قال: فيأكل منهنّ أَكْلَهُنَّ"[5].

ونقل ابن الجوزيّ -رحمه الله- قولَ ابن عباس-رضي الله عنهما- في تفسير هذه الآية، قال: "قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: كُلَّما اشتهى أهلُ الجنة شيئاً، قالوا: سبحانك اللّهمّ، فيأتيهم ما يشتهون، فإذا طعِموا، قالوا: الحمد لله ربّ العالمين، فذلك آخر دعواهم"[6].

(1) سورة غافر، من الآية (85).
(2) تفسير المراغي (17 /13).
(3) سورة يونس، من الآية (10).
(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطّبري (15 /30).
(5) تفسير القرآن العظيم - لابن أبي حاتم، برقم (10242) (6 /1930).
(6) زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي (2 /318).

المطلب الثالث – الدّعاء بمعنى النّداء والاستغاثة أو الاستعانة

- **الفرع الأول – الدّعاء بمعنى النّداء:**

أوّلاً – النّداء لغةً:

النِّداء: مصدر ناديتُه منادةً ونِداءً. وَيُقَال: النِّداء والنُّداء، فَمن ضمّه أخرجه مُخرج الدُّعاء والثُّغاء، وَمن كَسره جعله مصدر ناديته نِداءً. والنِّداء: نِداء الصَّوْت، وَهُوَ بعد مداه. ويُقَالُ للصَّوْت المجرَّدِ نِدَاء، كما قال -ﷻ-: ﴿**إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً**﴾[1]. وكلّ مَا ظهر فَهُوَ نادٍ، كَأَنَّهُ نَادَى بظهوره.

وتنادَوْا، أي: نادى بعضُهم بعضاً. وتَنادَوْا، أي: تجالسوا في النادي، وكذلك النَدْوَةُ والـمُنْتَدى، فإنْ تفرَّق القوم فليس بنَدِيٍّ. ومنه سمِّيت دار النَدْوَةِ بمكة؛ لأنَّهم كانوا يَنْدونَ فيها، أي: يجتمعون للمشاورة. وقوله -ﷻ-: ﴿**فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ**﴾[2] أي: عشيرته، وإنَّما هم أهلُ النادي، والنّادي : مكانُه ومجلسه، فسمَّاه به[3].

ثانياً – الآيات الّتي تنوّع لفظ الدّعاء فيها بمعنى النّداء:

وممّا جاء في الكتاب العزيز بمعنى النّداء قولُه -ﷻ-: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ**﴾[4] أي أنّ الأصم إذا ولّى مدبراً، ثم ناديتَه لم يسمع الدّعاء، وكذلك الكافر لا يسمع الإيمان إذا دعي إليه[5].

وأخرج الطبري وابنُ أبي حاتم -رحمهما الله- في تفسيرهما عن قتادة -رحمه الله- قوله: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ قَالَ: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْكَافِرِ، كَمَا لَا يَسْمَعُ الْمَيِّتُ كَذَلِكَ لَا يَسْمَعُ الْكَافِرُ وَلا يَنْتَفِعُ بِهِ. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟**

(1) سورة البقرة، من الآية (171).

(2) سورة العلق، الآية (17).

(3) ينظر: جمهرة اللغة - لابن دريد الأزدي (2 /1061) والصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهري (6 /2505) (مادّة: ندا).

(4) سور النّمل، الآية (80).

(5) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (3 /317).

﴿مُدْبِرِينَ﴾ يقول: لو أن أصَمَّ وَلَّى مُدْبِرًا ثُمَّ نَادَيْتَهُ لَمْ يَسْمَعْ، كَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يَسْمَعُ وَلا يَنْتَفِعُ بِمَا يَسْمَعُ[1].

فإن قلتَ: ما معنى مدبرين، والأصمّ لا يسمع صوتا سواء أقبل أو أدبر؟ قلتُ: هو تأكيد ومبالغة. وقيل: إنّ الأصم إذا كان حاضراً قد يسمع برفع الصوت، أو يفهم بالإشارة، فإذا ولَّى لم يسمع ولم يفهم. ومعنى الآية: أنه لِفَرْطِ إعراضهم عمّا يُدْعَون إليه فإنّهم كالميت الذي لا سبيل إلى سماعه، وكالأصم الذي لا يسمع ولا يفهم[2].

كذلك قوله -ﷻ-: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾[3]. قرأ ابن كثير -رحمه الله-: ﴿نُّكُرٍ﴾ بإسكان الكاف، وقرأ الباقون بضمّها، وهما لغتان، كعسْر وعسُر، وشغْل وشغُل، ومعناه: الأمر الفظيع العظيم، وهو يوم القيامة. والداعي هو إسرافيل -عليه السلام-. وقد رُوي عن مجاهد وقتادة أنّهما قرءا: ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكِرَ﴾ بكسر الكاف وفتح الراء، على الفعل المجهول[4].

وقال الرّازيّ -رحمه الله- في مَعْرض تفسيره لهذه الآية: "إنّ منادياً ينادي وداعياً يدعو، وفي الداعي وجوه، أحدها: أنه إسرافيل، وثانيها: أنه جبريل، وثالثها: أنه ملك مُوكّل بذلك"[5].

فالدّعاء كالنّداء، وقد يُستعمل كل واحد منهما موضعَ الآخر، قال -ﷻ- على لسان زكريّاء -عليه السلام-: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطّبري (20 /117) وتفسير القرآن العظيم - لابن أبي حاتم (9 /2921).

(2) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل - للخازن (3 /352).

(3) سورة القمر، من الآية (6).

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (17 /129) وتحبير التيسير في القراءات العشر - لابن الجزري (ص: 569)

(5) التفسير الكبير - للرّازي (29 /292).

﴿الرَّأْسُ شَيبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[1]، أي: بندائك[2]. وهنا يظهر أنّ لفظ الدعاء يفسر بالنداء، والعكس يصح كذلك، لهذا كان معنى الدعاء ضمن وجوه النداء في القرآن[3]، قال -ﷺ-: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾[4] أي: دعا ربّه[5].

وعلى الرّغم من تقارب دلالتي النداء والدعاء فإنّنا يمكن أن نرصد فرقاً بينهما، وذلك أنّ النداء: هو رفع الصوت بما له معنى، والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه، يقال: دعوته من بعيد، ودعوت الله في نفسي، ولا يقال: ناديته في نفسي. وبذلك يتضح إشراك الدعاء والنداء في جانبٍ من دلالتهما في وضع أحدهما موضع الآخر، واختلافهما من جانب آخر[6].

- **الفرع الثّاني – الدّعاء بمعنى الاستغاثة أو الاستعانة:**

أوّلاً – الاستغاثة والاستعانة في اللّغة:

الغيْن والواو والثّاء كلمةٌ واحدةٌ، وهي الْغَوْثُ من الإغاثة، وهي النُّصْرَةُ عند الشّدّة. غوَّثَ الرجل: قال: واغوثاهُ. والاسم: الغَوْثُ والغَواثُ. وَقد صَرَّح أئمّةُ النَّحْوِ بأنّ هذا هو أصلُه، ثمّ إنهم استعمَلُوه بمعنى: صَاحَ ونَادَى؛ طَلَباً للغَوْثِ.

ولم يأت في الأصوات شيءٌ بالفتح غيره، وإنما يأتي بالضّمّ مثل البُكاء والدُّعاء، أو بالكسر مثل النِّداء والصِّياح. وقيل: أصلُه الغُواث. وفَتْحُه شَاذٌّ، أَي وَارِدٌ على خلافِ القِيَاس؛ لأَنّه دَلَّ على صَوْتٍ، والأفعالُ الدّالّةُ على

(1)سورة مريم، الآيتان (2،3).

(2)ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - للفيروزآبادى (2 /601).

(3) ينظر: الوجوه والنّظائر لألفاظ كتاب الله العزيز - للدّامغاني (ص: 443).

(4)سورة الأنبياء، من الآية (83).

(5) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (3 /89).

(6) ينظر: الفروق اللغوية - للعسكري (ص: 38) والدّعاء المعاني والصّيغ والأنواع - لمحمّد زوين (ص: 21).

الأصواتِ لا تكون مفتوحَة أبداً؛ بل مضمومةً، كالصُّرَاخ والنُّبَاح، أَو مكسورةً، كالنِّداءِ والصِّياح[1].

أما الاستعانة، فهي من العَوْنِ، وهو: الظَّهير عَلَى الأَمر، تَقُولُ: أَعَنْتُه إِعَانَةً واسْتَعَنْتُه واستَعَنْتُ بِهِ فأَعانَني وعَاوَنَنِي. ومنه قولنا في الدّعاء: رَبَّنَا أَعِنَّا وَلَا تُعِنْ عَلَيْنَا.

والاسم: العَوْنُ والـمَعَانةُ والـمَعُونةُ والـمَعْوُنةُ والـمَعُونُ. وتعاوَنوا عليَّ واعْتَوَنوا: أَعَانَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً. وتَعاوَنَّا: أَعان بَعْضُنَا بَعْضًا. وَرَجُلٌ مِعْوانٌ: حَسَنُ الـمَعُونة، أو: كَثِيرُ الـمَعُونة لِلنَّاسِ[2].

والمعنيَيْن -أعني: الاستغاثة والاستعانة- على تقاربهما يمكن أن نلحظ في دلالة الاستغاثة سعة أكثر منه في الاستعانة وكلاهما طلب، إلاّ أنّ الاستغاثة طلب الواقع في بليّة[3]، قال -ﷻ-: ﴿**وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ**﴾[4]، وأكثر ما تجيء الاستغاثة في طلب النصرة[5]، قال -ﷻ-: ﴿**فَاسْتَغَٰثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِۦ**﴾[6]، وقال أيضاً: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾[7].

والاستجابة السريعة في هذه الآية -وفي الاستغاثة عموماً- إشارةٌ إلى أنّ الاستغاثة انتشالٌ من أمر عظيم، فَقَدَ الطّالب -المستغيث- فيه أمله بقدراته وعلّقها بمغيثه.

---

(1)ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهري (1 /289) ومعجم مقاييس اللغة - لابن فارس (4 /400) وتاج العروس من جواهر القاموس - للزَّبيدي (3 /242) (مادّة: غوث).

(2) ينظر: لسان العرب - لابن منظور (13 /298) (مادّة: عون).

(3)ينظر: المصدر نفسه (2 /174) (مادّة: غوث).

(4)سورة الكهف، من الآية (29).

(5) ينظر: المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني (ص: 617) (مادّة: غوث).

(6) سورة القصص، من الآية (15).

(7) سورة الأنفال، الآية (9).

أمّا الاستعانة فالظاهر فيها -والله أعلم- الطّلب والدّعاء، إلاّ أنّ حال الطالب يكون أقلّ شدّة من المستغيث، فليس هناك بلاء واقع على المستعين، وإنّما يكون الطلب زيادةً في إكمال الأمر المستعان عليه، كما يظهر من قوله -ﷻ-: ﴿**قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**﴾[1].

ولتداخل معنى الاستعانة والاستغاثة وتشابههما -وافتراقهما في بعض الجوانب كما بيّنتُ-، كان أهل اللّغة والتّفسير وأصحاب الوجوه والنظائر منقسمين -أو: متردّدين- في حمل كلٍّ منهما على معنى الدّعاء، فبعضهم حمَله على الاستغاثة، وبعضهم حمَله على الاستعانة، وبعضهم جَمَع بين المعنييْن في حمْلِهِ لفظَ الدّعاء[2].

ثانياً - الآيات الّتي تنوّع لفظ الدّعاء فيها بمعنى الاستغاثة أو الاستعانة:

وممّا جاء في الكتاب العزيز بهذا المعنى قولُه -ﷻ-: ﴿**وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**﴾[3] يَقُولُ: واستعينوا بالآلهة التي تعبدون مِن دون الله إن كنتم صادقين بأن محمداً -ﷺ- يَقُولُ من تلقاء نفسه[4].

وفسّر الطّبري -رحمه الله- الدّعاء هنا بالاستغاثة، فقال: "وقولُه: ﴿**وَادْعُواْ**﴾ يعني: استنصروا واستغيثوا"[5].

وقال البغويّ -رحمه الله- في تفسيره: "وادعوا شهداءكم، أي: واستعينوا بآلهتكم التي تعبدونها، من دون الله. وقال مجاهد: ناساً يشهدون لكم، إن كنتم صادقين أنّ محمداً -ﷺ- تَقَوَّلَهُ من تلقاء نفسه، فلما تحداهم عجزوا"[6].

(1) سورة الكهف، الآية (95).
(2) ينظر: الدّعاء المعاني والصّيغ والأنواع - لمحمّد زوين (ص: 18، 19).
(3) سورة البقرة، من الآية (23).
(4) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (1 /93).
(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري (1 /377).
(6)معالم التّنزيل في تفسير القرآن - للبغوي (1 /94).

وجمع ابنُ الجوزي -رحمه الله- بين المعنيين في تفسيره لفظَ الدّعاء في هذه الآية، قال: ﴿وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ فيه قولان، أحدهما: أن معناه: استعينوا من المعونة. والثاني: استغيثوا من الاستغاثة[1].

نظيرها في سورة يونس، وهو قولُه -سبحانه وتعالى-: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۖ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [2] أي: وادعوا من استطعتم ممن تعبدون من دون الله ليعينوكم على ذلك، وقيل: وادعوا من استطعتم على المخالفة ليعينوكم، وقال مجاهد: شهداءكم بمعنى ناساً يشهدون لكم، إن كنتم صادقين أنّ محمداً -صلى الله عليه وسلم- افتراه[3].

المطلب الرّابع- الدّعاء بمعنى السّؤال أو الاستفهام[4]، وبمعنى العذاب

- **الفرع الأوّل - الدّعاء بمعنى السّؤال أو الاستفهام:**

أوّلاً - السّؤال والاستفهام في اللّغة:

السِّينُ وَالْهَمْزَةُ وَاللَّامُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ. يُقَالُ: سَأَلَ يَسْأَلُ سُؤَالًا وَمَسْأَلَةً. وسألته الشيء، وسألته عن الشيء سؤالاً ومسألةً. والسُؤْلُ: ما يسألُه الإنسان. وقد تُخفَّف

(1) ينظر: زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي (1 /44).

(2) سورة يونس، من الآية (38).

(3) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (2 /238) والكشف والبيان عن تفسير القرآن - للثّعلبي (5 /133)

(4)رأيْتُ أن أجمع هذيْن الوجهيْن في فرعٍ واحدٍ لأسباب، منها: اقتراب المعنى والمفهوم بينهما إلى حدٍّ كبير، والآيات التّي أوردها الدّامغاني في وجه الاستفهام لم أجد من قال بأن معناها الاستفهام، هكذا بهذا اللّفظ -غير الرّازي كما سيأتي-. ولكن يمكن توجيه كلام الدّامغاني إلى أنّه قَصَدَ بهذا الوجه -وهو الاستفهام-: السّؤالَ على جهة الاستفهام، وقَصَدَ بالوجه الآخر -وهو السّؤال-: الطّلب والرّغبة في حصول المراد، وسيأتي بيانه في مكانه من هذا الفرع.

همزته فيقال: سالَ يَسالُ. ورجلٌ سُؤَلَة: كثيرُ السّؤال. وتَساءَلوا، أي: سَأَلَ بعضُهم بعضاً. وأَسْأَلْتَهُ سُؤْلَتَهُ ومسألته، أي: قضيتُ حاجته[1].

أمّا الاستفهام فهو طلب فهم الشّيء والكشف عَنهُ، يُقال: اسْتَفْهَمَنِي الشَّيءَ، إذا طَلَبَ مِنِّي فَهْمَهُ، فَأَفْهَمْتُه إِيَّاهُ، وفَهَّمْتُهُ تَفْهِيمًا: جَعَلْتُه يَفْهَمُهُ. وفَهِمْتُ الشَّيْءَ: عَقَلتُه وعرَفْته. وفَهَّمْت فُلَانًا وأَفْهَمْته، وتَفَهَّم الْكَلَامَ: فَهِمه شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ.

وَرَجُلٌ فَهِمٌ: سَرِيعُ الفَهْم، وَيُقَالُ: فَهْمٌ وفَهَمٌ. وأَفْهَمه الأَمرَ وفَهَّمه إِيَّاهُ: جَعَلَهُ يَفْهَمُه. واسْتَفْهَمه: سأَله أَنْ يُفَهِّمَه[2].

"والفرق بين الاستفهام والسّؤال: أنّ الاستفهام لا يكون إلّا لما يجهله المستفهم أو يشك فيه، وذلك أنّ المستفهم طالبٌ لِأَنْ يَفْهَمَ، ويجوز أن يكون السّائل يسأل عما يعلم، وعما لا يعلم، فالفرق بينهما ظاهر"[3].

ثانياً - الآيات التّي تنوّع لفظ الدّعاء فيها بمعنى السّؤال أو الاستفهام:

ورد السّؤال في القرآن الكريم على عشرين وجهاً[4]، والسّؤال بمعنى الدّعاء يمكن أن يكون على نوعيْن:

- النّوع الأول: السّؤال على جهة الاستفهام والاستعلام.
- النّوع الآخر: السّؤال على جهة الطّلب والرّغبة في حصول المراد[5].

(1) ينظر: الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة - للجوهري (5 /1723) ومعجم مقاييس اللّغة - لابن فارس (3 /124) (مادّة: سأل).

(2) ينظر: لسان العرب - لابن منظور (12 /459) وتاج العروس من جواهر القاموس - للزَّبيدي (17 /546) (مادّة: فهم).

(3) الفروق اللغوية - للعسكري (ص: 37).

(4) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - للفيروزآبادي (3 /165).

(5) ينظر: الدّعاء المعاني والصّيغ والأنواع - لمحمّد زوين (ص: 22).

ومـمّا جاء من آيات الذّكر الحكيم في النّوع الأوّل قولُه -ﷻ-: ﴿**قَالُواْ ادۡعُ لَنَا رَبَّكَ**﴾[1]، والمعنى: سَلْ لنا ربك ما هي؟ فهو سؤالٌ عن حالها وصفتها؛ ذلك أنّهم تعجبوا من بقرة ميتة، يُضْرَبُ ببعضها مَيْتٌ فيحيا![2].

وقال الرّازي -رحمه الله- في معرض تفسيره لهذه الآية، بعد أن أمرهم -ﷻ- بذبح البقرة: "فتعجّبوا من ذلك ثمّ شدّدوا على أنفسهم بالاستفهام، حالاً بعد حال، واستقصوا في طلب الوصف، فلما تعيّنت لم يجدوها بذلك النعت إلا عند إنسان معيّن، ولم يبعها إلا بأضعاف ثمنها، فاشتروها وذبحوها"[3].

نظيرها في سورة الكهف، وهو قولُه -ﷻ-: ﴿**وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ**﴾[4] والمعنى: سلوا الّذِينَ زعمتم أنّهم معي شركاء أهم آلهة؟ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ، أي: فسَأَلوهم فلم يجيبوهم بأنّهم آلهة[5].

وممّا جاء من آيات الذّكر الحكيم في النّوع الآخر، وهو كون السّؤال على جهة الطّلب والرّغبة في حصول المراد، فإنّه يأتي دائماً متعلقاً بطلبٍ ظاهرٍ في سياق الآية، قال -ﷻ-: ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ**﴾[6]، أي: سلوا لنا ربَّكم واطلبوا إليه أن يخفّف عنّا يوماً من العذاب[7].

نظيرها في سورة الزّخرف، قال -ﷻ-: ﴿**وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ادۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ**﴾[8]، قال الجمهور: هو خطاب تعظيم؛ لأنّ السحر كان عِلْمَ

(1) سورة البقرة، من الآية (68).

(2) ينظر: معالم التّنزيل في تفسير القرآن - للبغوي (1 /129) والكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل - للزّمخشري (1 /148).

(3)التفسير الكبير - للرّازي (3 /543).

(4)سورة الكهف، من الآية (52).

(5) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (2 /590).

(6)سورة غافر، الآية (49).

(7) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (3 /716) والجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (15 /321).

(8)سورة الزّخرف، الآية (49).

زمانهم، أو لأنّهم استصحبوا له ما كانوا يدعونه به أوّلاً، وقيل: كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر؛ لاستعظامهم علم السحر. والمعنى: سَلْ لنا ربّك بما عَهِدَ عندك أن يكشف عنا العذاب. إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ: يعني مؤمنين لك. وكان الله -ﷻ- عَهِدَ إلى موسى-عليه السلام- لئن آمنوا كَشَفَ عنهم، فذلك قوله -ﷻ-: ﴿**بِمَا عَهِدَ عِندَكَ**﴾، فلما دعا موسى ربَّه كشف عنهم فلم يؤمنوا[1].

- **الفرع الثّاني - الدّعاء بمعنى العذاب:**

أوّلاً - العذاب في اللّغة:

العين والذّال والباء أصلٌ صحيح، لكنّ كلماته لا تكاد تنقاس، ولا يمكن جمعها إلى شيء واحد. فمن الباب: عَذُبَ الْمَاءُ يَعْذُبُ عُذُوبَةً، فَهُوَ عَذْبٌ: طَيِّبٌ. وَأَعْذَبَ الْقَوْمُ: إِذَا عَذُبَ مَاؤُهُمْ. وَاسْتَعْذَبُوا: إِذَا اسْتَقَوْا وَشَرِبُوا عَذْبًا. وَبَابٌ آخَرُ لا يُشبه الّذي قبلَه، يُقَالُ: عَذَبَ الْحِمَارُ يَعْذِبُ عَذْبًا وَعُذُوبًا، فَهُوَ عَاذِبٌ وَعَذُوبٌ: لَا يَأْكُلُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ.

ومنه العذابُ، وهو العقوبة، وقد عذّبتُه تعذيباً: عاقبتُه معاقبةً. وَيُقَالُ: أَعْذَبَ عَنِ الشَّيْءِ، إِذَا لَهَا عَنْهُ وَتَرَكَهُ. وَكُلُّ مَنْ مَنَعْتَهُ شَيْئًا، فَقَدَ أَعْذَبْتَه وعَذَّبْته. وأَعْذَبه عَنِ الطَّعَامِ: مَنْعَهُ وكَفَّه. قَالَ[2]:

وَتَبَدَّلُوا الْيَعْبُوبَ بَعْدَ إِلَهِهِمْ صَنَماً فَفِرُّوا يَا جَدِيلَ وَأَعْذِبُوا[3]

(1) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (3 /797) ومعالم التّنزيل في تفسير القرآن – للبغوي (4 /164) والبحر المحيط في التفسير - لأبي حيّان (9 /380) وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - لأبي السّعود (8 /49).

(2)وهو عبيد بن الأبرص، في ديوانه (ص: 29)، وهو من البحر الكامل.

(3) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهري (1 /178) ومعجم مقاييس اللغة - لابن فارس (4 /259) ولسان العرب - لابن منظور (1 /584) (مادّة: عذب).

والْيَعْبُوبُ: صنمٌ، والمعنى: بدّلنا لكم اليعبوبَ بصنمٍ آخر لكم، كنّا قد أخذناه منكم، فاسْكُنُوا وكُفُّوا[1].

ثانياً - الآيات الّتي تنوّع لفظ الدّعاء فيها بمعنى العذاب:

وممّا جاء في الكتاب العزيز بهذا المعنى قولُه -ﷻ-: ﴿ **كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ** ﴾ [2]. ﴿**لَظَى**﴾: وهي اسم من أسماء جهنم، وقيل: هي الدّركة الثانية، سُمّيت بذلك لأنها تتلظى، أي: تتلهّب. ﴿ **نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى**﴾، قرأ الجمهور -ﷺ-: ﴿**نَزَّاعَةً**﴾ بالرفع، فهو خبرٌ ثانٍ عن ﴿**إِنَّ**﴾، إنْ جُعل الضّمير ضميراً عائداً إلى النّار المشاهَدة. أو هو خبرٌ عن ﴿**لَظَى**﴾، إنْ جُعل الضّميرُ ضميرَ القصّةِ، وجُعل ﴿**لَظَى**﴾ مبتدأ. وقرأ حفص -ﷺ-: ﴿**نَزَّاعَةً**﴾ بالنّصب على الحال، فيتعيّن على قراءة حفص أنّ الضّمير ليس ضمير قصّة.

والمعنى أنّ النّار تنزع الأطراف، فلا تترك عليها لحماً ولا جلداً. وقال ابن عباس -ﷺ-: تنزع العَصَب والعقِب[3]، وقيل: تنزع اللّحم دون العظام، وقيل: تأكل الدّماغ كلَّه، ثم يعود كما كان ثم تأكله، فذلك دأبها[4].

وقال الثّعلبيُ -ﷺ- في تفسيره: "﴿**تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ**﴾ قال ابن عباس -ﷺ-: تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح، ثم تلتقطهم كما تلتقط الطيرُ الحبَّ، وقال تغلب: تدعو؛ أي: تهلك. يقول العرف: دعاك الله، أي: أهلكك الله، وقال الخليل: إنه ليس كالدعاء "تعالوا"، ولكن دعوتها إياهم: تَمَكُّنِها من

(1) ينظر: ديوان عبيد بن الأبرص (ص: 29).

(2) سورة المعارج، الآيات (15-18).

(3) "وَالْعَقِبُ -بكسر القاف-: مُؤَخَّرُ القدم، وهي مؤنّثة. وَعَقِبُ الرَّجُلِ -أيضاً-: وَلَده ... وفيها لغتان: عَقِبٌ وَعَقْبٌ -بالتسكين-". الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهري (1 /184) (مادّة: عقب).

(4) ينظر: معالم التّنزيل في تفسير القرآن - للبغوي (5 /152) ولباب التأويل في معاني التنزيل - للخازن (4 /341) والتحرير والتنوير - لابن عاشور (29 /163).

تعذيبهم، وفِعْلِها بهم ما تفعل"[1]. وبنحوه قال البغويّ[2]، والزّمخشريُّ، وزاد: "وقيل: تدعو: تهلك، من قول العرب: دعاك الله، أي: أهلكك. قال:

دَعَاكَ اللهُ مِنْ رَجُلٍ بِأَفْعَى ضَئِيل تَنْفُث السُّمّ الذّعَافَا "[3]

وقال المراغيّ -رحمه الله-: "وهذه النار تجذب إليها أبناءَها الّذين خلقهم الله لها، وقدّر أنهم في الدنيا يعلمون عمَلَها، من بين أهل المحشر، فدسّوا أنفسهم إذ كذبوا بقلوبهم، وتركوا العمل بجوارحهم، وجمعوا المال بعضه على بعض، وكنزوه ولم يؤدوا حق الله فيه، وتشاغلوا به عن فرائضه من أوامرٍ ونواهٍ"[4].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإني أحمد الله -سبحانه وتعالى- على تمام النعمة وإتمام هذا البحث، وأسأله -سبحانه وتعالى- أن أكون قد وفقت في إنجازه، وهديتُ إلى الصواب، وأن أكون قد أسهمت في بيان وجه من وجوه إعجازه التي لا يستطيع الإنسان حصرها.

وإنّي في خاتمة هذا البحث المتواضع أودّ أن ألخّص أبرز النّتائج التي استخلصتها من هذه الدّراسة، وهي كالآتي:

1- أنّ تصريف الآيات هو تنويعها في المعنى الواحد، أو الموضوع الواحد، وعرضها بصور شتّى، وأساليب مختلفة؛ وذلك لتقرير وبيان الحجج الدالة على الوحدانية، وعظيم القدرة الإلهية، وإثبات النبوة والرسالة.

(1) الكشف والبيان عن تفسير القرآن - للثّعلبي (10 /38).

(2) ينظر: معالم التّنزيل في تفسير القرآن - للبغوي (5 /153).

(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - للزّمخشري (4 /611). والبيت بلا نسبة في لسان العرب (14 /260) (مادّة: دعا)، وهو من البحر الوافر.

(4) تفسير المراغي (29 /69).

2- أنّه لا يوجد تَكرار في ألفاظ القرآن الكريم -كما يزعم بعضهم-، وإنما هو تصريف للقول، بدليل أن الذي يستقري آيات الكتاب العزيز لا يجد نصّاً بذلك، فالقرآن نفسه لم يستعمل لفظ التَّكرار أو التَّرداد، وإنما تجده في كثير من الآيات يشير إلى مصطلح التصريف.

3- أنّ القرآن الكريم يأتي باللفظ المعبِّر والمصوِّر لمعانيه تصويراً دقيقاً، وهو يراعي في تصريفه الفروقَ الدقيقة بين المفردات؛ لأن لكل منها دلالاتها التي يؤديها أبلغ أداء، ويكون ذلك وفق بناءٍ محكمٍ، فيكون اللفظ الأليق في مكانه، والأدل على معناه، غيره لا يحلّ محلَّه؛ ليؤدي أسراره المعنوية التي يقتضيها السياق في دقةٍ وإحكامٍ. وقد دعا القرآن نفسُه إلى ألّا يُستخدم لفظٌ مكان آخر، قال -ﷻ-: ﴿**قَالَتِ الأَعرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسلَمنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ الإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُم**﴾[1]. فهو لا يرى التّهاون في استعمال اللّفظ، ولكنّه يرى التّدقيق فيه؛ ليدلّ على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه.

4- أنّ الكلمة الواحدة تتصرف في القرآن إلى معانٍ مختلفة، وأن هذا التنوع يدل على الاستعمالات الدلالية للكلمة الواحدة في القرآن الكريم، وهذا التنوع هو الذي جعل القرآن الكريم معجزاً في ألفاظه ومعانيه، وهو الأمر الذي ينفي صفة التكرار عنه، ويطبعه بطابع التصريف، الذي هو وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وسرٌّ من أسرار بلاغته.

وأخيراً فإنّ من المقترحات المهمة في هذا الشأن هو وجوب الاهتمام بمصطلح التصريف في القرآن الكريم، وإيثاره على غيره من المصطلحات الأخرى التي نافسته في الاستعمال، وخصوصاً حينما يكون الكلام متعلقاً بتنوع ألفاظ البيان القرآني، ومعانيه، وأساليبه.

(1) سورة الحجرات، من الآية (14).

وفي الختام أسأل اللّه -ﷻ- التوفيق، والإخلاص في القول، والعمل بما يحبّه ويرضاه، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يردّ أمتنا إلى دينها وشريعتها ردّاً جميلاً، وأن يحسن ختامنا، هو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلا باللّه العليّ العظيم، وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه، ومن تبع نهجه واهتدى بهداه إلى يوم الدّين، وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

==========

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، رسماً وضبطاً وتخريجاً.

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - لأبي السّعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د ط،ت).

2- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - لناصر الدين الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ.

3- البحر المحيط في التفسير - لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت - لبنان، (د ط)، 1420هـ.

4- البرهان في علوم القرآن - لأبي عبد الله بدر الدين الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، 1376هـ.

5- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - لمجد الدين، أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة - مصر، طُبع بين عامي: 1973 - 1996م.

6- بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم - للدكتور: عبد الله محمد النقراط، دار قتيبة للطباعة والنّشر، دمشق - سورية، الطّبعة: الأولى، 1423هـ - 2002م.

7- تاج العروس من جواهر القاموس - لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1414هـ.

8- تحبير التيسير في القراءات العشر - لشمس الدين، أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد ابن يوسف (ت: 833هـ)، تحقيق: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م.

9- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" - لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1984م.

10- التعريفات الفقهية - لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1424هـ
11- تفسير القرآن العظيم - لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: 774ه)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1420هـ
12- تفسير القرآن العظيم - لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي بن أبي حاتم (ت: 327ه)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، 1419ه.
13- التفسير الكبير - لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي، الملقَّب بفخر الدين الرازي (ت: 606ه)، تحقيق: سيد عمران، وناصر الدين البيضاوي، وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1420هـ
14- تفسير المراغي - لأحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، 1365هـ - 1946م.
15- تفسير مقاتل بن سليمان - لأبي الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي (ت: 150هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1423هـ
16- تفسير المنار - لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد، شمس الدين بن محمد بهاء الدين ابن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط)، 1990م.
17- تفسير يحيى بن سلام - ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: 200هـ)، تحقيق: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م.
18- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبي جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
19- الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الخزرجي، شمس الدّين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة: الثانية، 1384هـ
20- جمهرة اللغة - لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1987م.
21- الدّعاء في القرآن - لمحمّد أشرف صلاح حجازي، (د ط)، 1432هـ - 2012م. موقع الكتاب: www.lam-muslim.com .

22- الدّعاء المعاني والصّيغ والأنواع - لمحمّد محمود عبّود زوين، مركز الرّسالة، سلسلة المعارف الإسلامية، برج البراجنة - لبنان، (د ط،ت).
23- ديوان الأعشى الكبير - لميمون بن قيس، شرح وتعليق: د. محمد حسين، مكتبة دار الجماميز، المطبعة النوذجية، القاهرة - مصر، 1950م.
24- ديوان امرئ القيس - بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المرار (ت: 540م)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة: الرّابعة، (د ت).
25- ديوان عبيد بن الأبرص - بن جشم بن عامر بن مالك بن الحارث ابن ثعلبة بن أسد (ت: 554م)، شرح: أشرف أحمد عَدرَة، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م.
26- زاد المسير في علم التفسير - لجمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
27- شعب الإيمان - لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبي بكر البيهقي (ت: 458هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرّياض - المملكة العربيّة السّعوديّة، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2003م.
28- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - لأبي النصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة: الرابعة، 1407هـ.
29- فتح القدير - لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (ت: 1250ه)، دار ابن كثير، دمشق - سورية، الطبعة: الأولى، 1414هـ.
30- الفروق اللغوية - لأبي هلال الحسن بن عبد الله، بن سهل بن سعيد بن يحيى، بن مهران العسكري (ت: 395هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، (د ط،ت).
31- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل - لأبي القاسم الزمخشري جار الله (ت: 538ه)، ضبط وتوثيق: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي، وبذيله: "الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال - لابن المنير الإسكندري (ت: 683هـ)"، و"الكاف الشّاف في تخريج أحاديث الكشّاف - للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)"، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1407هـ.
32- الكشف والبيان عن تفسير القرآن - لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: 427هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
33- الكليات - لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، (د ط،ت).
34- لباب التأويل في معاني التنزيل - لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن (ت: 741هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1415هـ.

35- لسان العرب - لمحمد بن مكرم بن علي أبي الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي (ت: 711ه)، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1414ه.
36- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: 807ه)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة - مصر، (د ط)، 1414ه - 1994م.
37- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز - لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542ه)، تحقيق: عبد السّلام الشّافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422ه.
38- المستدرك على الصحيحين - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري (ت: 405ه)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مع تضمينات الإمام الذّهبي في التّلخيص والميزان، والعراقي في أماليه، والمناوي في فيض القدير، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، (د ط،ت).
39- معالم التنزيل في تفسير القرآن - لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 510ه)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة : الأولى، 1420ه.
40- معاني القرآن وإعرابه - لإبراهيم السري بن سهل أبي إسحاق الزجاج (ت: 311ه)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1408ه.
41- معجم العين - لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170ه)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، الإسكندريّة - مصر، (د ط،ت).
42- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة - لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت: 1408ه)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: السابعة، 1414ه - 1994م.
43- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - لمحمّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصريّة، القاهرة - مصر، (د ط)، 1364ه.
44- معجم مقاييس اللغة - لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: 395ه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق - سورية، 1399ه.
45- المفردات في غريب القرآن - لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502ه)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية، دمشق - سورية، الطبعة: الأولى، 1412ه.
46- المفيد في أصول التّفسير وقواعده ومناهج المفسّرين - للدّكتور عبد الله محمّد النّقراط، قيد النّشر.
47- النكت في إعجاز القرآن - لأبي الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني (ت: 386ه)، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة - مصر، (د ط،ت).

48- النكت والعيون - لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د ط،ت).

49- النهاية في غريب الحديث والأثر - لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، (د ط)، 1399هـ

50- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز - لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت: 478هـ)، حقَّقه وقدَّم له: محمد حسن أبو العزم الزَّفيتي، مطـــابع الأهرام التجارية، قليوب - مصر، 1412هـ